جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني المعاصر
قراءة لسانية اجتماعية

محمد بن سالم المعشني

أستاذ مشارك
قسم اللغة عربية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
mashani@squ.edu.om

تاريخ الاستلام: ٢٠١٤/٠١/٠٩
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٤/٠٦/٠١

الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني المعاصر
قراءة لسانية اجتماعية

محمد بن سالم المعشني

المستخلص:

تناولت هذه الورقة ظاهرة اللغة في المجتمع العماني المعاصر بوصفها جانبًا مهمًا من ثقافة هذا المجتمع، وأداة أساسية لاكتساب السلوك الاجتماعي، ورمزًا للهوية الاجتماعية للعمانيين. وتحدثتْ عن أهمية هذه الظاهرة في الحضارة المعاصرة وعلاقتها بالثقافة والفكر والسلوك. وعملتْ على رسم صورة عامة تبين أشكال هذه الظاهرة في المجتمع العماني المعاصر، وعلاقتها ببعضها وبالمجتمع. وتناولتْ مفاهيم ومصطلحات متداولة في علم اللغة الاجتماعي بغية التمييز بين النوعيات اللغوية الموجودة في المجتمع العماني المعاصر، وكشف جوانب من العلاقات القائمة بينها

الكلمات المفتاحية: لغة، كلام، جماعة، مجتمع، ثقافة، فكر، وحدات لغوية، نوعيات لغوية.

The Social Aspects of the Language Varieties in the Contemporary Omani Society: A Sociolinguistic Study

Mohammed Bin Salem Mashani

Abstract:

TThis paper discusses the social aspects of the language varieties in the contemporary Omani society as a critical dimension of this society, as a means of acquiring social behavior and as a symbol of the Omani social identity. The study underscores the importance of this diversity in contemporary society and its relationship with culture, thought and behavior. The paper gives an overview of the various aspects of this phenomenon and the interrelationship between these social aspects on the one hand and between them and the society on the other hand. The paper also discusses some common sociolinguistic terms and concepts which are used to describe the language varieties in Oman and the interrelationships between them. .

Keywords: Language, Dialect, Speech, Society, Community, Culture, Thought, Linguistic items, Language varieties

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية متعددة الأشكال والمضامين في كل مجتمع بشري ؛نظرًا لتعدد مكونات كل مجتمع وتعدد أشكال سلوك أفراده وأساليب حياتهم ،وطرق تفكيرهم . فلا تكاد دولة أو أمة تخلو من ضرب من ضروب التعدد اللغوي والتنوع الثقافي. ولهذا ،لا يمكن الحديث عن نقاء لغوي أو ثقافي أو عرقي في أي مجتمع بشري، وبخاصة في هذه العصور المتأخرة ، التي تطورت فيها الحضارة البشرية تطورًا كبيرًا في كل مجال، وتيسرت طرق التواصل والاتصال بين بني البشر وتعمقت علاقاتهم الاقتصادية وتشابكت مصالحهم.

والعلاقة بين اللغة والمجتمع علاقة عضوية متينة، لا يقوم أحدهما من دون الآخر ؛ فظهور اللغة يتطلب مجتمعًا لا تنشأ إلا فيه ،وقيام المجتمع لا يتم بغير لغة يتواصل بها أفراده ،ويقيمون بها كيانه ويحافظون بها على قيمه وثقافته ،ويعبرون بها عنه وعما له من خصائص وسمات. ثم تصبح هذه اللغة إحدى هذه الخصائص ومكونًا من المكونات الثقافية الأساسية لهذا المجتمع .و التعدد اللغوي والتنوع الثقافي من الظواهر القديمة في تاريخ البشرية، بسبب الهجرات والتداخل بين الجماعات البشرية والعلاقات التجارية وضم الأراضي والتخلي عن بعضها ،وعمليات الإدماج الثقافي والسياسي في كيانات الدول المركزية.(سافيدان،٢٠٠٠: ٩).

والظاهرة اللغوية بتجلياتها وتنوعاتها في المجتمع العماني تمثل جزءًا أساسيًا من ثقافة هذا المجتمع وأداة للتعبير عن بقية الأجزاء والتفاعل معها. وباللغة نتشارك- مع غيرنا من العمانيين- في تكوين كثير من المفاهيم وكثير من السلوك الاجتماعي. و بها نعبر عن المعتقدات الشعبية والاجتماعية ونكتسب مفاهيم ثقافية جديدة باستمرار. وكل نوعية لغوية مستخدمة في منطقة أو مدينة أو قرية عمانية أو من قبل جماعة من العمانيين هي جزء من الثقافة العمانية. وهي من حيث العدد والتنوع توازي التنوعات الجغرافية والاجتماعية والمناطق والمدن والقرى العمانية. ولكننا لا نولي النوعيات اللغوية القائمة في السلطنة اهتمامًا ماعدا نوعيتين أساسيتين تتمثل الأولى في العربية الفصحى، والأخرى في اللغة العامية؛ مع أن الفصحى مستويات يمكن تسميتها فصيحات، والعامية ليست نوعية واحدة بل عاميات ونوعيات مختلفة عصية على الحصر لأسباب علمية وموضوعية. فالظاهرة اللغوية لا تتجلى إلا متنوعة؛ لأنها ظاهرة اجتماعية موجودة في كل بلد متنوع جغرافيًا واجتماعيًا. والتنوعات اللغوية في السلطنة ليست تنوعات مبنية على أسس عرقية تقسم المجتمع وتجعله مكونات منفصلة متواجهة. وإنما هي تنوعات في إطار التنوع اللغوي العربي نفسه ما بين عربية فصحى وعربيات عامية وعربيات جنوبية*. وهذه التنوعات اللغوية هي وحدها التي تعبر عن الثقافة الوطنية العمانية، وتعد جزءًا أصيلا منها ومكونًا أساسيًا من مكوناتها. وهي تنوعات في إطار المنطقة الواحدة والثقافة العامة الواحدة. وهي لا تحمل تنافرًا لغويًا أو ثقافيًا مع محيطها الثقافي والاجتماعي. وذلك لأنها تنوعات لغوية عربية مرتبطة بوضع لغوي عربي قديم، وليست وراءها تقاليد أو عادات اجتماعية أو أنماط ثقافية غريبة عن المنطقة أو دخيلة عليها. كل ما فيها أنها امتداد لمرحلة حضارية وثقافية كانت موجودة في جنوبي بلاد العرب قبل ظهور الإسلام. ولقد أخذت العربية الفصحى تفرض نفسها في كل بلد، وكل منطقة من مناطق الجزيرة العربية منذ اتخاذها لغة الكتابة والشعر الفصيح والفقه وعلوم اللغة والدين في كل مناطق الجزيرة العربية وأقاليمها، ومن ضمنها المناطق التي احتفظت ببقايا من العربية الجنوبية في كل من عُمان واليمن والسعودية، فليس للناس في هذه المناطق لغة للعبادة، أو الكتابة والتخاطب خارج جماعاتهم الكلامية غير العربية الفصحى واللغات العامية الأساسية. وتعدد النوعيات اللغوية العربية أمر ليس جديدًا ؛فهذا ابن جرير الطبري يقول «فالعرب مختلفو الألسن بالبيان، ومتباينو المنطق والكلام» (الطبري: ١/٢٠).

أهداف الدراسة ومسوغاتها

ليس ما سوَّغ لي اختيار هذا الموضوع ما أعرفه عن أهمية اللغة، بل ما أعرفه من قلة الاهتمام العلمي بها في المجتمع العماني؛ فجل الاهتمام منصب على ما يتصل بقواعد اللغة المعيارية (الفصحى) ومعجمها وطرق تدريسها. ومعظم ما ينجز من دراسات لغوية من الباحثين العمانيين يتم وفق المنهج المعياري والمناهج التربوية. وما تم من دراسات لغوية حديثة في الآونة الأخيرة في قسم اللغة العربية - بجامعة السلطان قابوس- غير كافٍ من حيث الكم والنوع والمستوى؛ فهو لا يغطي الظاهرة اللغوية الواسعة المتشعبة بأبعادها ومجالاتها المتعددة ذات الصلة المباشرة بالفكر والنفس والثقافة والمجتمع.

ولا تزال معظم النظريات اللسانية الحديثة ومناهجها بعيدة عن الدرس اللغوي العماني الذي ينظر إلى اللغة بوصفها ألفاظًا وتراكيب يجب نطقها واستخدامها وفق قواعد ضابطة. تتناول هذه الدراسة الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني ابتغاء معرفة تنوعاتها العامة ومظاهرها الأساسية وعلاقتها بالسلوك والهوية والثقافة في المجتمع العماني. وهي تنظر إلى اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ونشاطًا ثقافيًا قبل أن تكون قواعد ومفردات أو نصوصًا. فاللغة هي الأداة الأساسية التي تعكس سلوكنا الاجتماعي وخصائصنا النفسية والثقافية والاجتماعية وهي جديرة بالاهتمام من الباحثين والمؤسسات؛ لكي تساعدنا في فهم أنفسنا على مستوى الأفراد، و فهم بعضنا بعضًا على مستوى المجتمع، ثم لتساعدنا في تقديم ما يعبِّر عنا من فكر وثقافة وأدب لغيرنا؛ فهي وسيلة أساسية لفهم الطبيعة البشرية والثقافة والسلوك الاجتماعي بل لفهم الوجود والحياة وأسرارهما .ولا يمكن لأي مجتمع يريد التقدم والنهوض أن يتجاهل موقع اللغة وأهميتها ،وما أحرزته اللسانيات المعاصرة من

* يقصد بها لغات الخطاب اليومي الخاصة ببعض القبائل في مناطق منعزلة أو شبه منعزلة مثل المهرية والحرسوسية والبطحرية والشحرية والفيفية والسقطرية في كل من السلطنة واليمن والسعودية وهي امتداد للغة حمير أو العربية الجنوبية. واللغات العامية قريبة من الفصحى ومتأثرة بها على الرغم مما بينها من اختلافات وصعوبة فهم بعضها من قبل غير أهلها.

نتائج علمية متقدمة.
يضاف إلى هذا أن اللغة أداة من أدوات الإنتاج .وهناك اهتمام بعلاقة الاقتصاد باللغة وعلاقة اللغة بالاقتصاد من قبل باحثين في دول متقدمة، وأفضى هذا الاهتمام إلى وجود مقررات علمية لتدريس العلاقة بين اللغة والاقتصاد (الفهري، ٢٠٠٧: ٥٩-٦٠). وهذا يدل على أن الاهتمام باللغة ليس نزعة وطنية ولا عاطفة دينية فقط بل هو ضرورة اقتصادية وتنموية ؛ بعد أن أصبح الاقتصاد العالمي قائمًا على المعرفة التي ينتجها الفكر البشري ويقدمها من خلال اللغة (الرحالي، ٢٠٠٦: ٢٧).

اللغة والثقافة في مجتمعنا
تدل كلمة الثقافة في العصر الحديث على معانٍ متعددة؛ من بينها طريقة حياة معينة لشعب ما. وقد يراد بها نتاج النشاط الفكري والفني لشخص أو مجموعة أشخاص أو لمجتمع. وكثيرًا ما تدل على الأدب والفن والموسيقى والنحت والرسم والسينما والمسرح(ريموند، ١٩٧٩: ٩٧). والثقافة العمانية هي حصيلة ما تعلمه العمانيون واكتسبوه من معرفة مادية ومعنوية أصبحتْ تعرف بهم ويعرفون بها. ويمثلها في الجانب المادي ما يستعملونه من ملابس ومصنوعات وأدوات وأطعمه وأكلات وقلاع وحصون وآثار حضارية وفنون شعبية وتقاليد وعادات اجتماعية وأمثال وقصص شعبية ولغات عامية ولهجات. وكل فرد عماني لديه منها نصيب اكتسبه من مجتمعه المحلي أو من المجتمع الوطني الأكبر. وعلى الرغم من وجود ثقافة عمانية عامة فإنها ليست قالبًا واحدًا ولونًا واحدًا ،وإن التقت في خطوط عامة، واتسمت بخصائص متماثلة أو متشابهة. فلكل مجتمع عماني محلي تنوعات ثقافية داخلية على مستوى المناطق والمدن والأقاليم. والثقافة العمانية ممتدة على الجغرافيا الوطنية العمانية من محافظة (مسندم) على الخليج العربي شمالاً حتى محافظة (ظفار) على بحر العرب جنوبًا. وهي ليست وليدة الزمن الحاضر، ولكنها نتاج ما اكتسبه العمانيون وقاموا به من ممارسات ثقافية عبر الدهور. وعملت الدولة العمانية المعاصرة التي أسسها جلالة السلطان قابوس على إبراز جوانب من الثقافة العمانية واتخاذها رمزًا للدولة الناشئة الجديدة وعنوانًا لهويتها الثقافية أمام من ينظر إليها من الخارج، وتوخت الاستفادة منها في تقوية مشاعر الانتماء في الداخل. ومن بين هذه الجوانب العلَم العماني والنشيد الوطني والعيد الوطني، والفرق الوطنية في مجالي الرياضة والفنون. وتحرص الدولة على أن تكون هذه الرموز الوطنية والأنشطة الثقافية ممثلة للسلطنة كلها بجميع مناطقها ومكوناتها الثقافية، وتعكس المشتركات الثقافية التي تجمع أبناء المجتمع العماني. والثقافة العمانية بهذا المعنى أوسع من الثقافة بالمعنى الذي يحددها بالأدباء والكتاب والفنانين والمؤسسات الثقافية التي تنتشر في المجتمعات الحديثة والمعاصرة . فهذا النوع من الثقافة لم يكن قائمًا قبل النهضة باستثناء بعض المكتبات وبعض الشخصيات التي كانت على قدر من التعليم غير النظامي في حواضر قليلة في بعض المناطق.
وتتطابق اللغة والثقافة في أجزاء اللغة التي نتعلمها من الآخرين وتمثل كل اللغة ماعدا القليل النادر منها؛ لأن ما نتعلمه من غيرنا في مجتمعنا يمثل معرفة ثقافية ،وتختلف هذه المعرفة عن المعرفة غير الثقافية التي لا تتعدى معرفة الفرد ، وتعبر عنها مفاهيمه الخاصة عن بعض الأشياء ،ولا يشترك فيها مع غيره ؛كمفهومه عن ذاته أو عن طعم معين أو لون معين أو لحن معين ونحو ذلك(هدسون، ١٩٨٠: ١٢٤).

اللغة تحت المجهر
اللغة ظاهرة اجتماعية ينشئها المجتمع ليتواصل بها أفراده مع بعضهم، وهي تحمل خصائصه وتعبر عنها. وهي لهذا، كائن اجتماعي بحسبان النشأة والانتماء والاستخدام والتطور والخصائص. وتوجد هذه الظاهرة في الفكر اللساني المعاصر في أذهان أفراد المجتمع على شكل قواعد ومفردات تسمى لغة وما يستخدم منها أثناء التواصل يسمى كلامًا .و محل اللغة أو وعاؤها هو المجتمع الذي توجد في أذهان جميع أبنائه، وأما الكلام فهو نشاط فردي (ياكوبسون: ٣٢) و(يونس، ٢٠٠٤: ٢١). وتدخل ملكة اللغة في كل جوانب حياتنا وتفكيرنا وهي التي جعلتنا متفردين عن غيرنا بتاريخ وتطور ثقافي وتنوع معقد وغني بين سائر المخلوقات في عالم الطبيعة(تشومسكي،٢٠٠٠ :٣٤). ومعرفتنا للأشياء واكتشاف أسرارها مرتبط بمعرفة هذه الظاهرة الاجتماعية التي تسمى (لغة). واكتشاف أسرارها يساعد على اكتشاف أسرار الأشياء الموجودة فينا وفي الكون من حولنا(المسدي، ٢٠١٠ :٩).والمعرفة اللسانية غدت معرفة كونية شمولية . وأدت إلى ظهور حقول علمية مشتركة بين علوم مختلفة ،كاللسانيات النفسية والاجتماعية واللسانيات والبحوث المتعلقة بالمخ والأعصاب واللسانيات المعالجة لأنواع من أمراض الكلام (الموسى، ٢٠٠٥: ٥٣) و (يونس، ٢٠٠٤: ٢١) و(المسدي، ٢٠١٠ :١٢) و(ياكوبسون: ٨١).
وجمع التفكير اللساني الحديث في رحابه قضايا وموضوعات من علوم شتى لتغدو الظاهرة الاجتماعية ودراستها مصدرًا من مصادر المعرفة الحديثة(المسدي، ٢٠١٠: ١٨). وهذه الظاهرة وجدت قبلنا وتعيش بيننا ومعنا وفينا، ونحن نعيش فيها و بها، ثم نذهب وتبقى هي بعدنا. وتمدنا اللغة بمعارف عن أنفسنا، وعما حولنا، وعما وراء عالم الشهادة، وعن الأشياء القريبة التي بدواخلنا والأشياء في الكون البعيد، وعن المجردات و المحسوسات، وكل ما يدركه العلم البشري «فكأن الكلام مجهر الإنسان في تفحصه عالم الأشياء وعالم الصور وعالم الخيال ،بل كأنه مجهر ذو عدسة مزدوجة: تكبر الصغائر فتنفذ إلى دقائق الحقيقة في أرق شقوقها وتُصغِّر الكبائر فتجعل المتشامخ العملاق في قبضة الرؤية اللغوية المحيطة به عن طريق الكلمة والحرف»(المسدي، ٢٠١٠: ٣٩).
واللغة ملكة معرفية عند الإنسان ينفرد فيها، وهي جزء من مقوماته البيولوجية، بالإضافة إلى قدرات أخرى لديه محددة بيولوجيًا كالقدرة على المشي والتعرف على الوجوه والتحكم في الأعداد (غاليم، ٢٠٠٧: ٦٢). وتنظر اللسانيات التوليدية إلى اللغة بوصفها مكونًا داخليًا من مكونات الذهن أو الدماغ. وتعدها وظيفة عليا من وظائفه. ومعرفة اللغة معرفة جوانيَّة بالنسبة

للعقل البشري أو الدماغ*. وهي موضوع (بيلوجي) وينبغي تحليلها عن طريق منهجية العلوم الطبيعية. (تشومسكي، ٢٠٠٠: ٩) وهي نسق للتعبير عن الفكر قبل أن تكون نسقًا للتواصل (غاليم، ٢٠٠٧: ٧٤).

اللغة و الفكر

اللغة والفكر ظاهرتان مختلفتان عن بعضهما؛ فقد يبحث المتحدث عن كلمات للتعبير عما يريده من معانٍ وقد يتردد أو يتلجلج، وقد يغير كلمة مكان كلمة، ويضع عبارة مكان عبارة؛ شعورًا منه بأنها لا تعبر بدقة أو وضوح عما في ذهنه من فكرة وأن الذي في فكره شيء يحتاج إلى كلام آخر. وقد يجد المرء مشقة في الاهتداء إلى كلمة مناسبة تعبر عن مفهوم أو معنى أو فكرة في ذهنه. وهذا يدل على وجود شيء ما نعبر عنه بالمعنى العام منفصل عن الكلمات. ومن مظاهر استقلال الفكر عن اللغة إمكانية التعبير عن فكرة واحدة بعبارات وكلمات من لغات شتى. وهذا لا يعني أن هناك انفصالاً تامًا بين اللغة والفكر، ولكنه يعني أنهما ليسا شيئًا واحدًا. فالفكر شيء مستقل تعبر عنه اللغة. والترجمة دليل على استقلال الفكر عن اللغة؛ لأنها نقل للأفكار من غير اللغة التي كتبت بها. وهي تحافظ على الفكر المنقول في الكلمات والعبارات. وهناك كائنات حية لا تمتلك اللغة، ولكنها قادرة على التعامل مع الزمان والمكان والأشياء وما حولها بأساليب تتلاءم مع طبيعتها. واللغة رغم انفصالها عن الفكر فإنها تعبر عنه وتوصله وتجعله قابلاً للتحليل والدراسة والتقويم والمساءلة(غاليم،٢٠٠٧ :٨٥-٨٧).

اللغة والسلوك

يستخدم الناس اللغة لنقل ثقافتهم من جيل إلى جيل وغرس السلوك الاجتماعي المرغوب والتحذير من السلوك المرفوض. وباللغة يتم تهيئة الشباب وإعدادهم لأداء السلوك الاجتماعي والمحافظة عليه. وأول ما تبدأ عملية الإعداد الثقافي الاجتماعي للفرد من مرحلة الطفولة حين يقال للطفل (افعل هكذا ولا تفعل هكذا) و (قل هكذا ولا تقل هكذا) و (كلْ هذا ولا تأكل هذا) و(البسْ هذا أو البسْ هكذا) و (لا تجلس هناك واجلس هنا) و(تعالْ هنا وسرْ هناك) و(هذا صحيح ،وهذا خطأ) و(هذا زين أو حلو أو جميل) و هذا (عيب أو خطأ أو حرام). هذه سلسلة من المواقف الكلامية التي تغطي أهم جوانب السلوك المتوقع من الطفل القيام به أو التعرض له . فالكلام يوجه له في هذه المرحلة من العمر لإكسابه قيمًا ومعايير تتحكم في سلوكه الاجتماعي من خلال التعبيرات والكلمات التي يتلقاها من محيطه الأسري. وحينما يقوم الآباء بذلك فإنما هم يدعون أطفالهم لأفعال وأقوال يريدونها منهم أو يريدها المجتمع. وكلمة (عيبْ) و ما في حكمها تمثل جرس إنذار اجتماعي للأطفال إن اقتربوا أو اقترفوا أفعالاً غير مقبولة من أسرهم أو من المجتمع الذي يراد منهم حمل قيمه والتمسك بها.

ولو أحصينا متوسط عدد المرات التي يقرع فيها هذا الجرس الاجتماعي أذني الطفل العماني فقد تكون من أكثر الكلمات التي يسمعها في صغره؛ لأنها تقال له من الأب والأم والأخ والأخت والقريب والنظير كلما خرج أو اقترب من الخروج عن السلوك الاجتماعي المعياري. و هي في الواقع ضابط للسلوك الاجتماعي للطفل. وقد تكون كلمة (عيبْ) أكثر كلمة تقرع أذنه في صغره. ويهدف الضبط لسلوك الطفل إلى تأهيله وإعداده لعضوية المجتمع الذي يفرض عليه قيمه وعاداته أولاً، ثم ينتظر منه المحافظة عليها والدعوة إليها. و هذه الكلمة التي تمثل جرس إنذار اجتماعي يتعدى مدى استعمالها الصغار إلى الكبار وذلك عندما تُستخدم معهم في مواقف كلاميه ليس لتعديل سلوك معين فحسب، وإنما للإنكار والتعيير والتوبيخ .

إن قسمًا من سلوكنا الاجتماعي يتم تكوينه بكلمات توجه إلينا من مجتمعنا ومحيطنا الأسري؛ فكل كلمة نتعلمها من المجتمع الذي ننشأ فيه تحمل قيودًا اجتماعية ،ومعانيَ ثقافية تتحكم في كثير من تصرفاتنا وتؤثر كثيرًا في نظرتنا إلى الأشياء وحكمنا عليها. وحياة كل منا محكومة بعادات وقيم اجتماعية منبثقة من البيئة الاجتماعية العمانية ومن الدين الإسلامي تحمِلُنا على التزام أنماط محددة من السلوك والتصرفات، وتجنُّب أنماطٍ أخرى تكون مخالفة للعادات الاجتماعية أو للتعاليم الشرعية. والوحدات اللغوية التي نسميها - في العادة لغة أو لهجة - هي المَعْبر والقناة التي تمر منها هذه العادات والقيم والتعليمات إلينا من الأجيال الماضية والمجتمع الذي ننتمي إليه.

يكوِّن كل فرد في أي مجتمع سلوكه الاجتماعي بكلمات ووحدات لغوية يتعلمها من محيطه الأقرب ثم من مجتمعه. وبعد هذا يصبح هذا الفرد المتلقي المتأثر بغيره مؤثرًا في سلوك الآخرين وموجهًا له. ويختلف التأثير من فرد لآخر؛ فشخص ما، قد يكون تأثيره ضعيفًا في السلوك الاجتماعي حتى على مستوى أهل بيته. وشخص قد يتعدى تأثيره مجتمعه وثقافته إلى مجتمعات وثقافات أخرى، إن كان مفكرًا أو مبدعًا أو مصلحًا أو رسولًا. ويتولى الآباء مهمة نقل الثقافة وغرس السلوك الاجتماعي لأبنائهم في مراحل الطفولة والصغر ثم يتولى الأمر من بعدهم أشخاص مؤهلون وفق معايير علمية أو اجتماعية أو ثقافية للقيام بتوجيه السلوك الاجتماعي والمحافظة عليه بعد خروج الطفل من البيت إلى المجتمع. و يقوم بهذا الدور في المجتمع العماني المعاصر كل من الخطباء والوعاظ والدعاة والإعلاميين والأساتذة في الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس. وهؤلاء جميعًا يقومون بتوجيه الكلام لغيرهم بهدف التأثير على سلوكهم إما لغرس سلوك اجتماعي أو لتعديله أو لتغييره . ويختار كل واحد من هؤلاء وحدات لغوية ذات مضامين فكرية تعبر عن سلوك مطلوب أو مرفوض في المجتمع.

فالكلام ليس تراكيب لغوية تعبر عن معان ومفاهيم مستقلة عن السلوك، وإنما هو أكثر من ذلك. فألفاظ ما بعد التحية، مثل:(خذْ خبارْه) أو (خابَرْهم) أو (خذ علومهم) أو(نشدْهُم) أو (خباركْ) أو(خبُورْ) أو (عطنا علومك) يتريث العمانيون ويتأنون

* ويقصد بهذا الكلام أن ملكة اللغة عند الإنسان ذاتية قبل أي أن تكون مبنية على الخارج المتمثل في الأسرة والمجتمع

في تحديد الشخص الذي يقوم بطرحها على القادمين والضيوف، يسندون القيام بها للأكبر منزلة أو سنًا. فهذا نوع من السلوك الاجتماعي المعبر عن قيم اجتماعية راسخة؛ فالكبير في المكانة أو العمر أولى بالرد تقديرًا له، ثم إن تحديد شخص لهذا الأمر يرفع الفوضى، ويعزز الاحترام والنظام داخل المجموعة، ويجلب لها التقدير من خارجها. وألفاظ التحية مثل (السلامْ عليكم) أو (نسلَّمْ) أو (مسلّمينْ) أو (حياكم اللهْ) أو (حياهمْ) وما في حكمها جزء من سلوك الإنسان العماني المعبر عن تمسكه بقيم دينية واجتماعية تلزمه بالسلام على من يلقى ويقابل وهي تعني إعلان الاحترام وتوحي بالأمان بين الطرفين .

المقال والمقام

يفرض كل مجتمع قيودًا اجتماعية على الكلام الذي يستخدمه الفرد، تتفاوت من مجتمع كلامي لآخر ومن ثقافة اجتماعية لأخرى. فعندما يخاطب الأبوان فلا يخاطبان باسميهما، بل بكلمات أخرى أوجدها المجتمع، يعد تجاوزها تعاملاً اجتماعيًا غير مقبول. وقد يعد ذلك من أشكال العقوق، التي حرمها الإسلام. ومن هذه الكلمات: (ماما) و(أمي) و(أمَّهْ) و(مامتي) و(أماتي) و(مَهْ) و(آمي) و(والدتي) و(الوالدهْ) للأم. و(بابا) و(أبوي) و(بويه) و(آبي) و(الأب) و(والدي) و(آبه) و(بَهْ) و(دادي) للأب. وعلى المتكلم اختيار كلمة من هذه الكلمات لمخاطبة الوالدين بها. وكل كلمة من هذه تدل على الخلفية الاجتماعية والثقافية للمتكلم . فالوالدة والأم والوالد والأب تستخدم في -الغالب- من قبل أبناء الفئات الأكثر تحضرًا وتعلمًا في المجتمع. و(بويه) و(وآبي) و(مهْ) و(مامتي) من قبل أبناء الفئات الأقل في مستوى التحضر والتعليم. و(بابا) و(ماما) يستخدمها الصغار . وتستخدم (دادي) (ومامْ) من قبل أبناء بعض الأسر التي تعلم أبناؤها في الغرب أو المدارس الأجنبية وتعلقوا باللغة الإنجليزية وثقافتها.

وكذلك الحال مع الشخص الذي يقوم بالتدريس أو التعليم ،يفرض العرف الاجتماعي على الناس مخاطبته بلقب (أستاذ) تقديرًا له واعترافًا بمكانته المميزة في المجتمع. وإذا خوطب باسمه مباشرة فذلك يكون تعاملاً اجتماعيًا غير مقبول؛ لأنه يوحي بقلة احترام المعلم والإساءة إليه لمجرد مخاطبته باسمه خالصًا من غير لقب. وينسحب الأمر على ذوي المناصب العليا في المجتمع من الحكام والوزراء والأمراء والفقهاء و القضاة الذين وضع لهم العرف الاجتماعي ألقابًا يخاطبون بها قبل أسمائهم، مثل فخامة وجلالة وسمو ومعالي وسعادة وسماحة وفضيلة. وعلى المتكلم الالتزام بهذه الألقاب وعدم الخروج عليها؛ لأن تجريد الشخص من لقبه يمثل نوعًا من عدم الاعتراف به وبمكانته. وقد يقصد به التقليل من شأنه والإساءة إليه. وقد يصل الأمر في بعض الحالات والمواقف إلى رفع الأمر إلى القضاء لتقرير عقوبة تأديبية على من ينتهك هذا العرف الاجتماعي.

ويمثل إلقاء السلام نوعًا من التعامل الاجتماعي المفروض على القادم، ويجب رده على من ألقي عليه. لكن في بعض الحالات إن سلم رجل على امرأة لا يعرفها، أو امرأة متبرجة فقد يكون فعله غير مقبول، وقد يسبب له مشكلات اجتماعية مع المرأة أو أهلها أو أهله أو بعض الجهات. وفي بعض الأعراف القبلية العمانية إذا سلم شخصٌ على آخر وتقبل منه السلامَ برده عليه، فذلك يعطيه الأمان منه إن كانت بينهما خصومة أو ثأر، ولا يجوز له الانتقام منه بعد أن ألقى السلام عليه. وإذا ثأر منه يجرَّم قبليًا، ويعد فعله نوعًا من الغدر ،وتضاعف عليه الدية والغرم.

وإذا مر شخص وألقى السلام أو التحية على أحد فإنه يفرح ويشعر بالرضا والتقدير لهذا السلوك. وقد يقود هذا لعلاقات اجتماعية حسنة بين الطرفين. ويؤدي إلى تغيير نظرة هذا الشخص وسلوكه مع ملقي السلام. وإذا مر شخص ولم يسلم ، فإن هذا يعد تصرفًا سيئًا منه، يتضمن انتقاصًا من قدره وقد يراه إساءة إليه. ومن الممكن أن يشعر بالغضب أو الاستياء كل من تعرض لهذا السلوك؛ لأنه يدرك أن السلام تعامل اجتماعي، يعبر عن قيم اجتماعية ودينية. ويفرض التعامل الاجتماعي في المجتمع العماني على المرء أن يتكلم بطريقة مناسبة تراعي المخاطب في مكانته ومنصبه الرسمي والاجتماعي وتراعي سنه وعلاقته الاجتماعية به، فلا يرفع الصوت عليه، ولا يقاطعه إذا تكلم، ولا يكرر عليه الكلام أكثر من اللازم فيضجره أو يحرجه، ولا يلتفت بوجهه عن مخاطِبِه، وعليه الاستماع له والإصغاء إليه. ولا يتكلم وهو واقف، ولا هو مستلق، ولا أثناء الأكل والشرب والمشي.

وتكثر في اللغة المستخدمة بين العمانيين كلمات وتراكيب ذات مضامين ثقافية تعبر عن طبيعة تعامل العماني مع غيره، وثيقة الصلة بسلوكه الاجتماعي وأخلاقه، مثل (الله يسلمك) و (حزاك الله خير) و (مشكور) و (ما قصرت) و(شي في خاطرك) و (إيش تبي) و (ابشر) و(زهَلْ) و(لا يهمك) و (إن شاء الله خير) و (باشوفْ) و (يصير خير) و(عسى خير). (الله يسلمك) و(حزاك الله خير) و (إن شاء الله خير) دعاء مع الشكر. (ماقصرتْ) تتضمن قدرًا محدودًا من المدح والشكر. و(شي في خاطرك) إعلان عن الاستعداد لتقديم العون والمساعدة وقد تعني الرغبة في الانصراف. و(يصير خير) و(عسى خير) وعد بتحقيق المطلوب. و(زهلْ) و(ابشرْ) و (لايهمكْ) فيها تطمينات وتأكيدات بتحقيق المطلوب. و (باشوفْ) قد تعني الرفض من غير تصريح وقد تعني الوعد من غير تأكيد.

وحينما نقول في كلامنا : (دخُلْ) و (تفضلْ) و(ارفع) و(قدم) و(نزِّلْ) و (حطْ) و(ضعْ) و(جيبْ) و (جيبْ) و(روحْ) و(تعالْ) و(خرُجْ) و(جعَدْ) و(هرَجْ) و (تكلمْ) و(سكُتْ) و(قرُبْ) و(بعَدْ) و (وخَرْ) و(خوزْ) . فهي كلمات يتطلب تنفيذها القيام بأفعال و أنشطة إنسانية جسدية وحركية في بعض الحالات والمواقف، إضافة إلى ما تتضمنه من تعامل وسلوك. وهذا الكلام تؤكده نظرية أفعال الكلام (Speech Acts) التي تقول إن قسمًا من الكلام المستخدم إما اقتراحات أو وعود أو دعوات أو طلبات أو تذكير بمحظورات وقد يكون الكلام هو الفعل(هدسون،١٩٨٠ :١٧١- ١٧٣). فقد يقول الرجل لزوجه (أنت طالق) فتطلق منه فورًا. وقد يقول مسئول لموظف عنده (أنت مفصول) فيفصل حالاً. وقد يقول قاض (حكمت على فلان أو أحكم عليه بسجن أو إعدام أو أي عقوبة أخرى) تبدأ إجراءات تنفيذها بعد نطقه بالحكم. ومثل هذا المراسيم

السلطانية التي يصدرها جلالة السلطان حين تقول (يعين فلان أو يرقى فلان أو يمنح فلان أو ينقل فلان).ومثلها التوجيهات والأوامر السامية التي تقول (أمر جلالته بكذا وكذا، أو تقرر كذا وكذا). فتتحول هذه الكلمات إلى التنفيذ من وقت صدورها وتتحول إلى أفعال.

ليس الكلام تعاملاً اجتماعيًا أو أفعالاً اجتماعية فقط إنما هو كذلك عمل ماهر(هدسون،١٩٨٠: ١٧٨) يتطلب مجهودًا عضليًا ونفسيًا وذهنيًا، فعملية الكلام تتضمن تحريك أعضاء جهاز النطق من الحنجرة حتى الشفتين، وتتطلب تفكيرًا وإعمالاً للذهن والفكر؛ حتى تكون الجملة معبرةً عن المعنى المقصود في سياق محدد وموقف معين. هذا الجهد العضوي والنفسي والذهني غير كاف؛ فلابد أن تتحقق فيه المهارة حتى يكون ناجحًا ومحققًا للمراد منه. وعلى قدر هذه المهارة يتفاوت الكلام من حيث درجة نجاحه التي تقاس بمدى التأثير الذي يحدثه في المخاطبين. فالكلام الماهر يحدث تأثيرات كبيرة في سلوك الأفراد والجماعات وتظل تعبيراته ذات مفعول مستمر عبر الأزمنة والحقب، لا تكاد تفقد بريقها وسحرها وتأثيرها في المخاطبين .ويعود جزء من هذا إلى ما فيها من مهارة في الصياغة ومهارة في تحديد المعنى المناسب للموقف والسياق. وأكثر أنواع الكلام مهارة عند العمانيين هو الشعر الذي يمثل فنهم الأول .وبسبب الشعر الذي هو كلام ماهر يكتسب الشعراء مكانة اجتماعية مرموقة في كل عصر ومجتمع. ولولاه ما نالوا هذه المنزلة الاجتماعية الرفيعة. ويرتبط نجاح الفرد في الإتيان بكلام ماهر مؤثر بما لديه من قدرات فردية ذاتية وذكاء وخبرات .فلا يمكن صدور كلام ماهر من البلهاء وأصحاب القدرات العقلية المتدنية . وبعد الشعر تأتي الأمثال والحكم التي يمكن عدها كلامًا ماهرًا ؛ لأنها لا تصدر إلا عن خبرة وذكاء.

الكلام والهوية

يتضمن الكلام الذي نتواصل به وحدات لغوية تظهر الخصائص الاجتماعية للمتحدث أو للمخاطب؛ فحينما نتكلم مع مخاطبة أو عنها يلزمنا أن نضيف إلى الكلمة حرفًا أو حركة أو أكثر أو نحو ذلك ليدل ذلك على أن المتكلم معه أو عنه مؤنث أو أنثى. مثل هي مقابل هو، وهُن مقابل هم، وأنتِ مقابل أنتَ، وأنتن مقابل أنتم و هذه مقابل هذا، وتلك مقابل ذلك. والتي مقابل الذي واللاتي مقابل الذين ومشهورة مقابل مشهور، وكبيرة مقابل كبير، ووسطى مقابل أوسط. وسكرى مقابل سكران. و غلامة مقابل غلام، وامرأة مقابل امرؤ، و برذونة مقابل برذون. وقالت مقابل قال، وقلن مقابل قالوا. تبين كل هذه الوحدات اللغوية أن العربية الفصحى تولي اهتمامًا بالغًا بإيجاد وحدات لغوية تبرز هوية المخاطب أو المتكلم عنه .وهو ما ليس موجودًا في اللغات العامية.

وهناك وحدات لغوية توجه للأطفال وحدهم، ففي بعض النوعيات اللغوية في مناطق من السلطنة، يقال (لولاي) لتنويم الطفل. وفي مناطق (لولوه) و في مناطق (ناناة) بدلاً من لولاي. و(دخ) أو(داخ) للإشارة إلى الضرب العقابي لإرضاء الطفل. و(نينَخ) للعبة أو شيء يلتهي به الطفل. و(وُكوكَخ) إشارة إلى الألم أو الجرح. و(دُودو) لتخويف الطفل أو إشارة إلى ما يخوف به في العادة. وفي مناطق يقال (دودهْ). وفي مناطق عمانية أخرى (توتوه). و(همْ) لتشجيعه على الأكل. و (حمرا لخصَفْ) للتخويف. و(نَخ) أو (ناخ) للتنويم. ومثلها(إيهُو). و(حاخ) و(وخ) للتحذير من التعرض لما يحرق أو يؤلم أو يؤذي. و(عَبْ) للتحذير من مخاطر السقوط والتعرض لما يسبب له الأذى. و(أمبوهْ) للتعبير عن الحاجة للشرب. و(تاتيهْ) للتشجيع على المشي أو القدوم معتمدًا على ذاته. وفي مناطق أخرى(تتيهْ). و(قيغْ) للتحذير من القذارة وما يوسِّخ. ومثلها(قوقَغْ) في مناطق أخرى. وفي مناطق معنى (عوغْ) لا تأكل، وعادة ما يكون هذا نهيًا عما هو قذر وضار. وكلمة (واغْ) تعني قذر الطعم أو الرائحة. و(تسْ) تعني ساخن. ومثل هذه الكلمات كثيرة في النوعيات اللغوية (اللغات العامية) العمانية. وهي حقيقة بدراسة مستقلة. وهذه الكلمات أخذتها من دراسة استطلاعية سريعة في ثلاث محافظات عمانية وهي جنوب الشرقية والداخلية و ظفار. وقد تجلى التطابق والتشابه بين هذه الكلمات على الرغم من البعد الجغرافي بين هذه المناطق.

وهناك كلمات تميز بين الناس على أساس العلاقات التي تربط بينهم، مثل أب ووالد وأم ووالدة وعم وعمة وخال وخالة وزوجة وزوج وعشيرْ وحليل وزميل وصديق وابن عم وابن خالة وابن خال. وكلمات خاصة بالمستوى العلمي والثقافي للشخص، مثل أستاذ ودكتور ومفكر وكاتب ومحام وطبيب واختصاصي ومشرف ومرشد. وبعضها يبين موهبته الإبداعية مثل شاعر و قاص و روائي و فنان ورسام. وبعضها يبين الوظيفة الرسمية والسلطة والنفوذ الرسمي والاجتماعي ،مثل جلالة وفخامة وسمو ومعالي وسعادة ومدير وفضيلة وسماحة وشيخ.

ولا ننسى اسم القبيلة في المجتمع العماني؛ فهو مهم جدًا لإبراز هوية الشخص، ومنزلته الاجتماعية. فكثيرًا ما يسأل عن قبيلة الشخص قبل أي شيء آخر، ويترتب على هذا مواقف اجتماعية وقرارات مهمة، وذلك عندما يتقدم شخص للزواج بفتاة أو امرأة من غير قبيلته أو منطقته، فاسم القبيلة قد يكون سببًا لإتمام الزواج بامرأة من قبيلة أو منطقة أخرى، وقد يكون حائلاً دون إتمام هذه العلاقة الاجتماعية الفريدة .

وهناك ألفاظ اجتماعية للتعبير عن المراكز الاجتماعية المتدنية تطلق في حالات الغضب والتعيير أو في التصنيف القائم على المعايير القبلية، وهي مرتبطة بالعهود السابقة التي كانت تسود فيها القبلية في المجتمع العماني. وفي بعض الحالات يعبر عن المرأة بكلمة (حاشا) أو (حاشاك) قبل أن يذكر اسمها أو علاقتها الاجتماعية أو جنسها. وقد سمعت من يقول (حاشاك أمي أو زوجتي أو حرمة). وفي مجتمعات قبلية أخرى يحظر على بعض الفئات الاجتماعية أن تتسمى بأسماء تشيع أو تستخدم من قبل قبائل أخرى ذات شكيمة. ولهذا يُستعظم من أبناء بعض المكونات القبلية في بعض المناطق أن يُخاطِبوا أبناء مكونات قبلية - أقوى أو أرفع - بحسبان المعايير الاجتماعية القبلية السائدة في الماضي، بعبارات مثل (عمي) أو (ابن عمي) ؛ وذلك لنقصان الكفاءة القبلية عند هذه المكونات.

ومن جهة أخرى فإن كلام الشخص من حيث الأسلوب والتعبيرات

والأداء يعبر عن ذكائه ومستواه ومكانته عند الآخرين، الذين يحكمون عليه - غالبًا - من الطريقة التي يتكلم بها ؛فلئن كان كثير الكلام يقال عنه ثرثار ومهذار. ولئن كان عالي الصوت وكثير الحركات أثناء التكلم يقال له مزعج أو غشيم أو غير متزن. ولئن كان مقنعًا في كلامه، يبرهن عليه بأدلة ،ويختار له الحجج المقنعة ، يقال له :إنسان عاقل أو رزين أوفاهم أو متعلم.

وقد يصنف الشخص المتحدث على نوعية اللغة التي يتحدث بها ،فقد يقال له متكبر أو متعالم إذا كان يستخدم لغة فصحى قديمة فوق مستوى المخاطبين، أو لغة توحي بالتعالم والشعور بالتميز والفخر بالذات. وقد يقال له سوقي وجاهل أو بسيط، إذا استخدم لغة دارجة وتعبيرات مبتذلة. وقد يقال له (متفرنج) لتطعيمه كلامه بكلمات وتعبيرات من لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية. ومن الشائع أن تسمع الناس عقب كل محاضرة أو ندوة أو حوار يقولون يظهر من كلام فلان أنه لطيف أو متزن أو عصبي أو مغرور أو ذكي أو متعلم أو فاهم أو قبلي أو عنصري أو متدين أو ملحد أو صادق أو متبجح أو كذاب. فسماعنا كلام شخص يتحدث قد يقودنا إلى كشف مركزه ومكانته وملامح شخصيته(أبوزيد،١٨٧:٢٠٠٧). وهذه الوحدات اللغوية التي تعد ألقابًا اجتماعية تمثل تصنيفات اجتماعية وعناوين للمخاطبين بها ولما لهم من مكانة ومنزلة في المجتمع. ومن الممكن القول: إنها تمثل حواجز اجتماعية بين المتكلم والمخاطب أو تعبر عنها. وهي تعمل على تقوية العلاقة بينهما أو إضعافها بحسب نوعها ونوع المخاطب والموقف. وكل هذا التمييز اللغوي مرتبط بالتمييز الاجتماعي، الذي لا يمكن تجاهله أو رفضه كله، ولا يمكن قبول بعض ما فيه وفقًا للمعايير الشرعية أو المعايير الوطنية. ولكنه واقع اجتماعي موروث ينتقل من جيل إلى جيل. وهو يدل على أنه لا توجد مساواة اجتماعية بين الناس في كل مجتمع توجد فيه هذه الوحدات اللغوية المعبرة عن التفاوت الاجتماعي بينهم في الجنس، وفي العمل والوظيفة، وفي المنزلة الاجتماعية، وفي والتعليم، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي النسب والأصل القبلي. ويُظهر هذا أن اللغة التي من أهم وظائفها تحقيق التواصل بين أبناء المجتمع وتقريبهم لها دور ما في التمييز بينهم من خلال هذه الألفاظ التي تعكس ما بينهم من فروق اجتماعية واقتصادية على الرغم من أنها لم توجد هذه الفروق وهذا التمييز بين الناس في كل مجتمع ولكنها تساعد في نشرها وترسيخها بوصفها مرآة تعكس الواقع وتعبر عنه.

اللغة والتحيز

إننا نستخدم اللغة- غالبًا- لرسم صورة حسنة عن أنفسنا وذلك عن طريق الإشارات الاجتماعية التي يتضمنها كلامنا، وتكون مصدرًا للمعلومات عنا، وتتيح للمتلقي أن يستنتج منها خصائصنا وصفاتنا التي نحرص على تقديمها وإبرازها عن أنفسنا. فالمتحدث يظهر ما يمكن أن يكون محل قبول أو إعجاب من غيره، ويخفي ما في حياته وشخصيته من جوانب وصفات لا تكون محل قبول أو إعجاب من المتلقي أو المجتمع. ولا يفعل المتحدث ذلك لمجرد تلميع نفسه من غير أهداف مبيته من وراء هذا التحيز يروم تحقيقها باستخدام تلك الطريقة في الكلام؛ لأن المخاطب شريك للمتحدث في المجتمع وفي الحياة ومنافعها ،وحاجته إليه ضرورية. فمن الطبيعي أن يقدم له معلومات منتقاة بعناية عن نفسه تؤثر فيه حتى يتجاوب معه ويحصل منه على ما يريد. ففي كثير من الحالات نبني مواقفنا وقراراتنا ومشاعرنا على ما تضمنه كلام المرء عن نفسه .ويمكن رصد مظاهر التحيز اللغوي من خلال الآتي:

أولاً: قد يتحدث المرء عن نفسه في بيته عند أهله، فيقول بأنه يعرف فلانًا، وقابل فلانًا، وقال لفلان وفعل كذا، وسيفعل كذا. وهو هنا لم يمتدح نفسه بكلمة مباشرة، ولم يبرز صفة فيه، كأن يقول: بأنه صاحب علاقات ونفوذ، أو أنه شجاع في الحق، أو أنه ذو قدرات مالية، أو صاحب مشاريع يخطط لها. ولكنه استخدم تلك الكلمات ذات التحيز الذاتي الواضح، وربما من غير أن يدرك هذا في اللحظة نفسها. ولكنها بالنتيجة كلمات وتعبيرات تضمنت تلميعًا لشخصيته، وتضخيمًا لمنزلته أمام أهله؛ وهذا يجلب له منافع؛ كأن يجعله مطاعًا أكثر أو محبوبًا أكثر أو مهابًا أكثر من قبل أسرته.

ثانيًا: يعرف الناس في مجتمعنا العماني أن من يتقدم لخطبة فتاة يعطي إشارات اجتماعية عن نفسه وعن أهله، ويختار لذلك الكلمات والعبارات التي تسهم في التأثير على أهل المخطوبة وجعلهم يقبلون به زوجًا لابنتهم أو من في حكمها. ويشيع في الثقافة الاجتماعية العمانية أن الخطيب يستخدم كلامًا فيه قدر كبير من التحيز الذاتي؛ بغية التأثير في قرار الخطيبة وأهلها للقبول به. وهناك مثل يقول(عند الخطبةْ اللسان رطبةْ). والمعنى أن الخطيب يكون ذا لغة متحيزة لنفسه وأهله.

ثالثًا: يحرص الأشخاص في مقابلات الترشح لوظيفة أو منحة أو منصب على اختيار عبارات، وتقديم إجابات مصوغة بطريقة يبتغون بها تقديم ما يؤثرون به على قرارات المقيِّم وترك انطباعات جيدة عن أنفسهم لديه. وهناك من يقدم دورات ترشد إلى كلمات وعبارات معينة تساعد الشخص في المقابلة على الحصول على موقف إيجابي من المقيِّم.

رابعًا: المعلمون والوعاظ والدعاة والمحاضرون يجعلون كلامهم حاملاً القيم العليا والأفكار المثالية وهم أقدر من غيرهم في اختيار الكلمات وإرسال الإشارات الاجتماعية وغير الاجتماعية المتضمنة للمعلومات التي تظهرهم بأحسن صورة عند المتلقين مما يجعل كلامهم مؤثرًا.

وقد تترتب عن هذا التحيز نتائج سيئة وآثار سلبية على الأفراد والمؤسسات والمجتمع. فكثيرًا ما يقال(زوج فلانة بانَ على غير ما نظن، أو عكس ما ظهر في كلامه أو قيل عنه). ومثل ذلك يقال(إن الموظف فلانًا مستواه سيء وليس كما قال أو ظهر في المقابلة) وينسحب هذا على المعلمين والمحاضرين. فكم من المرات يُسمع من يقول (الأستاذ فلان ليس كما سمعت أو أعتقد أو قرأت). فكثيرًا ما

نبني أحكامنا ونتخذ قراراتنا في بعض المواقف بناء على معلومات تضمنتها الإشارات الاجتماعية التي نتلقاها من المتحدث عن نفسه. وما ينطبق على الأفراد في هذا له شبيه بما يحصل على مستوى الشعوب، فقد يحرص شخص غربي على التعريف بنفسه بأنه (أوروبي) أو (غربي) أو من (العالم المتقدم). وهو بهذا يرسل إشارات في كلامه، بأنه متحضر أو متعلم أو مستنير، وغير ذلك من الأوصاف التي يمكن أن تستنتج من تعريفه بنفسه بأنه أوروبي أو غربي. ويظهر التحيز في هذا من حيث إنه ليس كل غربي أو أوربي تنطبق عليه هذه الصفات ولكنه تحيزَ لنفسه حين عرفها بأنه أوربي أو غربي؛ لأنه قد يكون أميًا أو متعصبًا أو متخلفًا وغير متحضر؛ على الرغم من كونه كما وصف نفسه. فليس كل غربي أو أوروبي بصاحب مؤهلات عليا أو صفات فضلى.

وقد يتعمد شخص غريب عن المجتمع العماني التعريف بنفسه على أنه (مسلم) عند من لا يعرفه؛ قاصدًا بهذا إرسال إشارات حسنة عن نفسه للمتلقي؛ فيمنحه ثقة أو احترامًا ويجلب له تعاطفًا من الناس ويسهل له أموره. وقد يزوج إن خطب أو يقرض إن طلب؛ بسبب هذه الإشارات التي تحملها كلمة (مسلم) عند أبناء المجتمع العماني. مع أن هذا (الشخص) قد يكون متظاهرًا بالإسلام أو مخالفًا لتعاليمه وغير ملتزم به، ولكن اختياره لكلمة (مسلم) للتعريف بنفسه يمنحه تلك الخدمات والمنافع من قبل المجتمع*. وهذا التحيز اللغوي موجود عند كل فرد ،وفي كل مجتمع . ولكن المعومات التي تأتي منه لا تكون صحيحة دائمًا، ولا ينبغي اتخاذ قرارات وتحديد مواقف بناء عليها وحدها .

نوعيات اللغة

إن ما يتعارف عليه اليوم ويوصف باللغة هو في حقيقة الأمر نوعيات مختلفة من أدوات التواصل الكلامي موجودة في كل مجتمع، ويمكن تعريف كل نوعية منها بأنها مجموعة من الوحدات اللغوية المستخدمة من قبل جماعة في بلد أو منطقة أو مدينة أو قبيلة أو قرية. وفي سلطنة عمان نوعيات من اللغة من (مسندم) في الشمال حتى (ظفار) في الجنوب، تتوزع جغرافيًا على القرى والمدن والأرياف والبوادي العمانية. وتتوزع اجتماعيًا على فئات المجتمع ومكوناته من القبائل وأهل المهن التقليدية كالصيادين والمزارعين والرعاة، ومن البدو والحضر وأهل الريف، إلى المتعلمين والمثقفين والتجار وأصحاب المهن الحديثة، وكبار السن والشباب والأطفال والذكور والإناث. ولكل مكون اجتماعي ومنطقة جغرافية لهجة أو نوعية لغوية مميزة عن النوعيات الأخرى بشيء من السمات والخصائص. ومن السهل على بعض الأشخاص أن يعرف المتحدث من أي منطقة أو فئة اجتماعية عمانية إذا تكلم؛ لأنه يستخدم نوعية لغوية لها خصائص تميزها عن غيرها من النوعيات. وبعض هذه النوعيات منسوب لحيز جغرافي أو مكون اجتماعي. فيقال لهجة بدوية ولهجة جبلية ولهجة حضرية ولهجة ساحلية ولهجة صورية ولهجة ظفارية ولهجة نزوانية ولهجة مسقط. وكل نوعية لغوية من هذه النوعيات تستخدمها جماعة كلامية أو مجتمع لغوي معين. وتكون هي من محددات هذه الجماعة، وتميزها عن غيرها من المجتمعات اللغوية. وهذه النوعيات اللغوية تختلف عن النوعيات اللغوية الموجودة في مناطق من محافظة الوسطى ومحافظة ظفار، وهي نوعيات مرتبطة بالعربية الجنوبية القديمة، ولها خصائص لغوية مختلفة عن خصائص النوعيات اللغوية التي ترتبط بالعربية الفصحى التي تركت فيها تأثيرات كبيرة. فللعرب ألسن ولهجات عربية قديمة قبل ظهور العربية الفصحى، لم يبق منها إلا مفردات وأساليب لغوية، فيما تولد عنها من لغات أو حل محلها من لهجات، وبقيت جيوب لغوية في مناطق معزولة أو بعيدة من بلاد العرب، محتفظة بكثير من خصائص اللغة العربية الأقدم من الفصحى** ومع هذا فكل النوعيات اللغوية العربية ترتبط بوشائج قرابة بحكم الأصل القديم الواحد وما بينها من تأثيرات متبادلة. وكل نوعية من النوعيات اللغوية الموجودة في السلطنة لها وحدات لغوية منتشرة في حيزها الجغرافي أو الاجتماعي تستخدم من قبل الجماعة الكلامية لهذا الحيز. ولكل منها ما يميزه من الوحدات اللغوية والأساليب الكلامية والمعاني الدلالية و مواقف الاستعمال والجماعات الكلامية. ولكن المجتمع يختصر كل هذه التنوعات اللغوية في نوعيتين يطلق عليهما (الفصحى) و(العامية) مع أن الفصحى يمكن أن تكون فصيحات والعامية عاميات .

وهذه النظرة الثنائية إلى الظاهرة اللغوية المتنوعة في المجتمع المتعدد المكونات الاجتماعية والثقافية والمناطق الجغرافية، لها صلة وارتباط بالبنية الفكرية والثقافية للمجتمع العربي التي رسَّخت في العقل العربي والمسلم ثنائيات عدة، مثل الأبيض والأسود والحق والباطل) و الخطأ والصواب ونعم أو لا ومنها ثنائية (الفصحى والعامية). فاختصرت النوعيات اللغوية القائمة في المجتمعات العربية في نوعيتين إحداهما تمثل الصواب والفصاحة والجمال ،وتتحدث عن الحق والخالق والفضيلة والقواعد والنظام ،وهي المثال اللازم تبنيه؛ لكونها الأجمل والأفضل والأرفع والأحرى بالاستخدام. والأخرى تمثل اللحن والخطأ والرداءة والضعف والخلو من البلاغة والفصاحة. ولا يجد عامة الناس مشقة في التعرف على النوعيتين (اللغة الفصحى) و(اللغة العامية). ولكن حينما يسأل عن الفرق بينهما أو عن الشيء الذي يجعلنا نطلق على هذه

---

* وقد يعرّف حجازي نفسه بأنه من مكة المكرمة أو من المدينة المنورة؛ لعله يرسم لنفسه صورة حسنة عند المتلقي. فهو يبتغي بهذا التعريف الاستفادة من ربط انتمائه بالمدينتين المقدستين عند المسلمين؛ فيساعده هذا في الحصول على ثقة أو محبة أو منفعة ما. ومثل ذلك حين يقول قائل إنه قرشي أو من أهل البيت، لربط نفسه بهذا النسب والانتماء ؛لكي ينال تقديرًا أو محبة أو منفعة ما. وقد يكون في حقيقته وواقع أمره بعيدًا عن هذا النسب وغير متصل به سواء من ناحية السلوك أو من ناحية النسب وقرابة الدم. وما ينطبق في هذا على فرد قد ينطبق على شعب؛ فمن الممكن أن يقال عن أفراد شعب ما بأنهم متكبرون أو سيئون وأن يقال عن غيرهم متواضعون أو طيبون. وجزء من هذا الحكم يمكن أن يكون مبنيًا على الانطباعات التي تولدها الإشارات اللغوية التي يبثها الناس في كلامهم عن أنفسهم وعن شعوبهم. ومن الممكن أن نفترض أن من يقل التحيز في كلامهم سيسهم في رسم صورة حسنة عنهم لدى الآخرين .ومن يكثر في كلامهم التحيز لأنفسهم فذلك يسهم في رسم صورة لا يحبونها عند غيرهم .

** ومن بين لغات أو لهجات العرب القديمة،ما يعرف بالسبئية، و المعينية، و القتبانية، والحضرمية، والحميرية .وكانت هذه اللغات العربية الجنوبية تستخدم نظام كتابة عربيًا خاصًا بها، يعرف بالخط المُسند، وهناك لغات أخرى في شمال غرب الجزيرة العربية، مثل: الصفوية، واللحيانية والثمودية، وهي تستخدم الخط المسند أو أقلامًا مشتقة منه. أما اللغة العربية الفصحى، فهي لغة قريش أو هي مزيج من لغات قبائل نجد ووسط الجزيرة، أو من لغات نجد والحجاز معًا. وهي لغة مختارة مرتبطة بالشعر والشعراء وزعماء القبائل والحكماء متواضع عليها من قبلهم.

النوعية (لغة) وتلك النوعية (لهجة) لا نظفر بإجابات حاسمة. فقد يقال الفرق بينهما هو الكتابة والقواعد ونزول القرآن. وما يلفت النظر أن النوعيات اللغوية التي تسمى (لهجات) أو(لغات عامية) فيها كلمات تعبر عن الاختلاف والتنوع اللغوي الذي يشعر به الناس في كلامهم، من ذلك: (رَمْسهُ) و(هَرْجَهُ) و(رطنهُ) و(خرُوفهُ). وجاءت في كتب التراث اللغوي كلمات تعبر عن التنوعات اللغوية، مثل(حرف) و (لحن) و(لسان) و(لغة) و(لهجة). لكن النظرة المعيارية للغة أدت إلى تواري مثل هذه الكلمات عن الأنظار واحتجابها وراء ركام النظرة المعيارية للغة التي تتجاهل التنوع والتعدد اللغوي والثقافي والاجتماعي الذي يوجد في كل مجتمع عربي.

وقد أثرت نوعية (الفصحى) تأثيرات كثيرة وقوية في النوعيات التي تسمى (لغات عامية) وجعلتها تتمثل كثيرًا من سماتها وخصائصها ومفرداتها وأساليبها؛ على الرغم مما بينها من اختلافات على كل المستويات اللغوية. فسلطان الفصحى القوي في المجتمع العربي والعماني جعل الناس لا تلتفت للكلمات التي تعبر عن التنوعات اللغوية الأخرى، وإن كانت تشعر بها وتعبر عنها في الواقع بكلمات دالة عليها. وتعظيمًا لشأن النوعية العليا (الفصحى)، تركز عليها البحث اللغوي العربي منذ ظهوره، ولا يزال كذلك في معظم جامعات المشرق العربي، ولم يوجه الجهد العلمي لدراسة الظاهرة اللغوية في المجتمع العربي خارج النوعية العليا المتواضع عليها (الفصحى). وكل التراث العلمي اللغوي القديم انصب عليها ومن أجلها. وغدا الخروج عليها أمرًا في أقل الحالات سوءًا لحنًا وخطأ غير مقبول، ليس على مستوى التحدث فحسب، بل على مستوى الدراسة والبحث العلمي الذي لا يكاد يتعداها أو يخرج عنها.*

ومن نتائج هذه المعيارية المبالغ فيها تجميد الدرس اللغوي العربي، وبقاؤه قرونًا طويلة معتمدًا على ما كتبه الخليل وسيبويه والفراء ونظراؤهم من علماء البصرة والكوفة منذ أكثر من ألف عام دون تطوير أو تغيير مهم يذكر. وهذا جعلنا اليوم عالة في البحث اللغوي على القدامى من هؤلاء العلماء، وعالة على غيرنا من العلماء الغربيين الذي طوروا الدراسات اللسانيات الحديثة في عصرنا حتى غدت من العلوم الكونية المهمة في كل مجتمع متطور. وهذه المعيارية اللغوية لها حضور جلي في المجتمع العماني؛ فلا ينظر إلى اللغة إلا من خلال اللغة المعيارية (الفصحى) وكل لغة عامية أو لهجة في مرتبة أدنى منها، وتكتسب مشروعيتها من تقاربها مع الفصحى. ولم تحجب هذه المعيارية التعرف على النوعيات اللغوية الموجودة في عمان ولكنها غيبت الوقوف على طبيعة اللغة الفصحى ومستوياتها ونشأتها وأصلها وخصائصها المميزة ومجالات استعمالها وكيفية تطويرها وجعلها لغة للعلم من جديد.

اللغات المتواضع عليها

اللغات المتواضع عليها هي نوعيات لغوية يتم تعميمها واتخاذها وسيلة تخاطب مشتركة بين المنتمين لبلد أو مدينة أو منطقة. ويماثلها عندنا العربية الفصحى. وكل نوعية متواضع عليها تكون في الغالب نوعية لغوية لمنطقة أو مدينة ذات مزايا اقتصادية أو دينية أو ثقافية. وقد لا يعرف بالضبط أصل بعض النوعيات المتواضع عليها. والتواضع على نوعية لغوية ما يتطلب اختيار نوعية ما ،ثم وضع قواعد لها ،ثم توسيع وظائفها وتوسيع معجمها من المصطلحات والكلمات المطلوبة للمفاهيم والأفكار الجديدة ثم يتم اعتمادها وقبولها من جميع المعنيين بها. وقد تتبناها دولة أو ديانة فتصبح لغة قومية أو دينية أو دينية وقومية في وقت واحد. وتتخذ السلطات السياسية اللغات المتواضع عليها رمزًا لهوية الأمة واستقلالها، وتعدها عاملاً يقوي وحدتها الوطنية؛ فتبذل ما في وسعها لتطويرها والمحافظة عليها(الفهري، ٢٠٠٧: ٢٩).

والعربية الفصحى هي اللغة المتواضع عليها في سلطنة عمان وغيرها من البلدان العربية. وهي لغة الدين والكتابة والتعليم الرسمي العام وبعض أنواع التعليم العالي في بعض المجالات ،ولغة الأدب الفصيح والنشرات الإخبارية وبعض البرامج الإعلامية. ولكن متى تم التواضع على هذه النوعية(الفصحى)؟ ومن الذين قاموا بالتواضع عليها؟ وفي أي مكان كانوا؟ ومتى ظهرت أول مرة؟ ومتى انتشرت ودخلت إلى مناطق غير المنطقة التي نشأت فيها؟ ومن قام بإدخالها إلى السلطنة إذا كان لها مكان ولدت فيه لا يخرج عن نجد والحجاز أو مناطق وسط الجزيرة وشرقها؟ وهل هي لغة قريش أو لغة الأعراب والبادية كما يقال؟ وهل تملك قريش مقومات اقتصادية واجتماعية وسياسية تجعلها تفرض لغتها على العرب المتناحرين المختلفين في أهم الأشياء والقضايا؟ كيف ذلك وللعرب بلدان كثيرة، وديار متباعدة ،وقبائل كثيرة لها زعامات متناقضة أو متصارعة(المعشني، ٢٠٠٣: ٣٧) ؟وليس لقريش سلطة سياسية أو قوة عسكرية أو ثقل عددي، يمكنها من فرض النوعية التي عندها أو أية نوعية أخرى في ظل الاختلافات ،والصراعات القبلية القائمة بين القبائل، ووجود مناطق أخرى تتفوق عليها في القوة الاقتصادية، والنفوذ السياسي، والتأثير الحضاري ،مثل: الحيرة واليمن (علي، ١٩٩٣: ٦٤٢/٨). ولو ولدت العربية الفصحى مع الإسلام لاختلف الأمر ،وأمكن إيجاد تفسير لنشأتها جديرًا بالقبول. لكن الإسلام نزل وهي موجودة قائمة ومعروفة في الأسواق الأدبية

---

* يبدو أن فكرة التوحيد التي تقوم على أنه (لا إله إلا إلهَ واحدٌ لا شريك له) ومالها من هيمنة فكرية في عقيدة المسلم ،ألقت بشيء من ظلالها على مناحي تفكير الإنسان العربي ونظرته إلى الأمور .فحصر الاعتراف في نوعية لغوية واحدة ،و شرعية مذهبية واحدة ،و شرعية سياسية واجبة الطاعة . وتضافرت على ترسيخ هذا الفكر وفرضه السلطات الدينية والسياسية والعلمية .وعلى هدى من هذا التوجه الفكري قام المنهج المعياري في دراسة اللغة وقام البحث العلمي لها على أساس منه .وليست النظرة المعيارية التي قام عليها البحث اللغوي العربي هي المعيارية الوحيدة في الفكر العربي .فهناك فهم معياري للدين أفضى لتدين معياري ،وهناك نظام حكم معياري، ومجتمع معياري .وهذا يبين أن المعيارية في الثقافة العربية الإسلامية المهيمنة ليست محصورة في اللغة وحدها. وليس مستبعدًا أن يكون هذا الفكر المعياري المبالغ فيه ،قد حجّر أفهامًا ،وجمد عقولاً ،وأوقف تطورًا فكريًا يمكن أن يكون له أثر حقيقي في نهضة الأمة وتطورها .فعلى قدر ما للمعيارية من وجاهة في حفظ العقيدة الإسلامية ولغة القرآن ،وتوحيد الصف إلا أن ذلك لا يسوغ لها أن تتحول إلى قيود متينة تكبل الأفهام ،وتحنط الأفكار، وتجمد العقول، وتعيق تطور المجتمع. ومغـيـرةُ الفكر والثقافة واللغة يؤثر على كل شيء في المجتمع حتى المعيارية الحسنة والضرورية نفسها ،فهو يفقدها مزاياها ،فلم تفضِ هذه المعيارية التي فرضت في القرون الإسلامية الأولى لأسباب وجيهة إلى انتشار الفصحى في المجتمعات العربية ،بل العاميات هي المنتشرة. ولم يؤدِ التمسك بمعيارية القرون الوسطى في مناهج تعليمنا العام إلى تعزيز الفصحى كما نتوق ،وهاهو الانتشار والإقبال على اللغات الأجنبية في كل مجتمع عربي خير برهان على ما نقول.

ويقال بها الشعر الجاهلي .*

ومن غير الممكن افتراض أن العربية الفصحى غدت لغة متواضعًا عليها لكل أقاليم تلك الدول ومناطقها تستعمل في كل المواقف والأنشطة الاجتماعية. من حدود الصين شرقًا حتى جنوب أوربا. فأهل هذه المناطق أصحاب لغات مختلفة؛ فللعراق لغاته القديمة، وللشام لغاتها القديمة، ولمصر وشمال أفريقيا مثل ذلك. وهناك لغات الشعوب غير السامية كالأكراد والفرس والهنود .وهناك التنوع اللغوي في إطار الجزيرة العربية نفسها وما للعرب أنفسهم من نوعيات لغوية مختلفة . كل هذا يجعل من الصعوبة الاعتقاد بأن العربية المتواضع عليها (الفصحى) اتُّخذت لغة لجمع السكان في كل هذه المناطق أو معظمها. وأكثر ما يمكن افتراضه في هذا أن تكون لغة الدوائر العليا في هذه المجتمعات؛ كالخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والشعراء والأدباء. وهذا يعني أنها لغة متواضع عليها تواضعًا غير كامل؛ فلم تتجاوز مرحلة توسيع الوظائف إلى مرحلة المواضعة الكاملة Acceptance (هدسون، ١٩٨٠ :٦٧).

تحديد النوعيات اللغوية

يطلق الناس في عصرنا الحديث على نوعيات من الوحدات اللغوية المستخدمة في حيز جغرافي أو اجتماعي اسم (لغة) أو (لهجة) وأكثر ما يميزون به بين النوعيتين أن (اللغات) تكتب، ولها قواعد تعلَّم، ويتكلم بها مجتمع أو دولة أو أمة. وأما (اللهجات) فهي تنطق ولا تكتب، وليس لها قواعد مقننة، والمتحدثون بها جماعة، أو جماعات قليلة في إطار مجتمع أكبر. و لما كانت هذه المعايير غير حاسمة وغير مقنعة من الناحية العلمية، ظهر معيار (التفاهم المتبادل) وفكرته: أنه إذا استطاع شخصان من نوعيتين لغويتين أن يفهم كل منهما الآخر؛ فهذا يعني أن النوعيتين اللتين يتكلمان بها من نوعية واحدة أو لغة واحدة. وإذا لم يتمكنا من التفاهم فالنوعيتان مختلفتان، وليستا من لغة واحدة. وهذا المعيار شائع، ويمكن تطبيقه في حالات كثيرة والاطمئنان إلى نتائجه. وهو يصلح للتفريق بين النوعيات اللغوية المختلفة البعيدة عن بعضها من حيث الخصائص والسمات، أو من حيث الموقع والمكان. ولكنه قد لا يكون صالحًا للتفريق بين النوعيات المتقاربة، التي لها أصل مشترك تجتمع فيه، وجوار جغرافي، وتشابك اجتماعي، وتداخل ثقافي كما هو حال النوعيات اللغوية الموجودة في سلطنة عمان. فالتقارب المكاني والتداخل الثقافي والتشابك الاجتماعي بين الجماعات الكلامية يحقق التفاهم المتبادل ويجعله أمرًا سهلاً أو ممكنًا. وإذا تأملنا هذا المعيار (التفاهم المتبادل) فهو غير محدد؛ فقد يتراوح بين الفهم الكامل وعدم الفهم. وليس هناك حد للفهم المتبادل بحيث إذا تحقق تكون النوعيتان أو الأنواع من لغة واحدة، وإذا لم يتحقق تكون كل نوعية لغة مختلفة أو مستقلة عن الأخرى. ومن جهة أخرى فإن (الفهم المتبادل) يختلف من شخص إلى شخص ويرتبط بتجارب شخصية وعلاقات دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو جوار جغرافي أو انتماء النوعيتين لأصل واحد. كل هذه العوامل تؤثر في الفهم المتبادل وتجعله معيارًا لا يعطي نتائج موضوعية ودقيقة في الحالات المذكورة. ولو طبق هذا المعيار على متحدث بالعربية المغربية مع متحدث بعربية عمانية عامية أو عربية يمنية عامية أو متحدث بعربية بدوية مع متحدث بعربية حضرية فالنتيجة المتوقعة أنه لن يفهم أحدهما الآخر فهمًا يمكنها من تحقيق تواصل لغوي ناجح.

وفي هذا السياق حدثني أ.د أحمد العلوي وهو عالم لغة ومفكر مغربي من جيل الرواد في مجال تخصصه أنه كان يعمل في كلية التربية في مدينة الرُستاق العمانية، ولم يكن يفهم سائق الحافلة العماني إذا تكلم معه ولا السائق يفهمه. فلو طبقنا هذا المعيار سنكون أمام عشرات اللغات العامية العربية. ولو طبق في السلطنة في حالات معينة ستكون النتيجة نفسها. ولكن لو خالط أستاذنا العلوي المجتمع الكلامي للمنطقة التي عمل في كليتها واحتك بالناس فسوف يحقق تفاهمًا متبادلاً معهم؛ لأن الاختلاف القائم بين النوعيتين اللغويتين المغربية والعمانية ليس جذريًا ولا شاملاً. ومثل هذا يحصل مع من تعلم الفصحى من غير العرب وأتقنها متخذًا إياها لغة حديث يومي وتواصل، فإنه لن يقدر على تحقيق التفاهم المتبادل إذا تكلم مع شخص عربي غير متعلم لا يعرف الفصحي. فلا هو سيفهم كلام غير المتعلم ولا غير المتعلم يقدر على التفاهم بالفصحي. وما يصعب تحديد النوعيات اللغوية هو التداخل الجغرافي والاجتماعي بين المجتمعات الكلامية، والتشابه أو التقارب بين الوحدات اللغوية على مستوى ما يتعارف عليه باللغة الواحدة أو اللهجات المتقاربة أو العائلات اللغوية. فهناك صعوبة بالغة في تحديد اللهجات ورسم حدودها وسماتها. كما أن اللغات البشرية ترتبط بعلاقات قرابة إذا كانت تنحدر من أصل واحد، أو علاقات ثقافية إن كانت تشترك في عقيدة أو جوانب ثقافية أو علاقة من حيث الشكل في بعض السمات والخصائص من غير سبب واضح. وتذهب بعض النظريات اللسانية الحديثة إلى افتراض التطابق بين اللغات البشرية في سمات كثيرة . وقد لاحظتْ بعض النظريات اللسانيات اشتراك اللغات البشرية في عدد من الظواهر والسمات، ولها مساع علمية حثيثة في هذا الاتجاه (تشومسكي، ١٩٨٦

* كل ما يقال عن أصلها وكيفية ظهورها هو افتراضات واستنتاجات لا يمكن أن تكون قاطعة ومقنعة من كل الوجوه. والمقنع منها أنها لغة عليا متوافق عليها تستخدم في الشعر وهي فوق لغات الجميع ولهجاتهم وألسنتهم وهي لغة مختارة جاء الإسلام ونزل كتابه القرآن بها فأكسبها معيارية وقدسية ونشرها وجعلها لغة علم ودين ولغة عالمية .وهي ليست مختلفة اختلافًا جذريًا أو واسعًا عن النوعيات الموجودة في المجتمعات اللغوية العربية القديمة والجديدة التي يطلق عليها عربيات عامية أو عربيات جنوبية قديمة في النقوش أو عربيات جنوبية معاصرة موجودة في بعض مناطق السلطنة واليمن والمملكة العربية السعودية. وإذا كانت العربية المتواضع عليها وجدت من قبل الإسلام فإنه قد جعلها أكثر معيارية وجعلها مقدسة غير قابلة للمساس والتغيير . وعلى الرغم من هذه المعيارية المتينة ظل العلماء على خلاف في نطق أو رسم أو إعراب أو تعريب أو صحة تركيب أو دقة أسلوب أو كيفية إضافة كلمة أو إنشاء مصطلح ؛ مما تقوم به المعاجم والمؤسسات اللغوية الحديثة في بعض البلدان العربية أو خارجها. وما يستوقف النظر أن قسمًا كبيرًا من علماء العربية المتواضع عليها الذين وضعوا القواعد والمعاجم والمصنفات ولهم آراء معتمدة في قواعدها النحوية والصرفية وأساليبها المختلفة كانوا من غير العرب، وبعضهم تعلمها لغة ثانية. وهذا يعني أن الجهود التي قام بها علماء العربية (الفصحى)؛ كانت بعد مرحلة الاختيار(Selection) التي كانت من قبل ظهور الإسلام. وهذه الجهود توازي ما يعرف بمرحلة التقنين (Codification) في الفكر اللغوي الحديث. وهدفها تثبيت النوعية المختارة من خلال كتب النحو والمعاجم التي تؤلف لهذا الغرض. ثم جاءت مرحلة توسيع الوظائف (Elaboration of function) مع ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في ظل الحكم الأموي والعباسي والحكم العربي للأندلس، وفيها تم توسيع استخدام العربية في دوائر الدولة ومؤسساتها القضائية وإداراتها المختلفة ومجالات العلوم المختلفة في تلك العصور.

: ٢٧٥-٢٧٦) و(أبوزيد، ٢٠٠٧: ١٧٢-١٧٤).

وعلى الرغم من الجهود العلمية التي بذلت في دراسة التنوعات اللغوية والتمييز بينها فهناك صعوبات بالغة تحول دون تحديد كل من اللغة واللهجة تحديدًا علميًا حاسمًا(أبوزيد،١٧٩:٢٠٠٧)*. فلكل فرد لهجته الفردية الخاصة (Idiolect) التي تختلف عن لهجات الآخرين. فلا يوجد شخصان يتكلمان بطريقة واحدة متماثلة(أبوزيد،١٨٢:٢٠٠٧). والأسباب السياسة هي التي تجعلنا نسمي هذه النوعية اللغوية لغة صينية أو لغة رومانية. وتساءل (تشومسكي) ما الذي جعل الفرنسية لغة واحدة؟ وما اللغة الصينية؟ ولماذا تسمي الصينية لغة؟ والرومانية لغات مختلفة؟ ولماذا تدرس العربية الفصحى في المدارس ولا أحد يتكلم بها بل باللغات العامية التي تعد أدنى منزلة منها.. إنه يشير إلى أسباب سياسية تقف وراء هذا التحديد والتصنيف وهي أسباب غير لغوية (تشومسكي،٣٥٨:١٩٨٦-٣٥٩). والدانماركية والسويدية والنرويجية لغات مستقلة في دول مستقلة ومع هذا يستطيع المثقفون فيها التواصل فيما بنهم (أبوزيد،١٨٠:٢٠٠٧). والصينية لغة رسمية واحدة متواضع عليها سياسيًا، ولكنْ لا يستطيع المتحدثون ببعض النوعيات اللغوية التي تسمى لهجات في الصين، أن يتواصلوا بها فيما بينهم لشدة اختلافها بعضها عن بعض. على الرغم من أنها تسمى لهجات وليس لغات. وهذا يظهر أن النوعيات التي تسمى لغات قد تكون مفهومة عند طرفين متحدثين بلغتين مستقلتين في بلدين مختلفين، والمتحدثون ببعض النوعيات التي تسمى لهجات في بلد واحد، قد لا يستطيعون التفاهم بها؛ نظرًا لبعدها عن بعضها (هدسون،١٩٨٠ :٦٠). والنوعيات اللغوية الموجودة في سلطنة عمان هي نوعية اللغة الفصحى، ونوعيات اللغات العامية التي تتفاوت فيما بينها في سمات وخصائص شتى وبقايا العربية الجنوبية(الحِميرية) التي ظلت في مناطق من جنوب السلطنة ووسطها مثل الشحرية والمهرية والحرسوسية والبطحرية .

خليط من النوعيات

إذا كانت النوعية اللغوية هي مجموعة من الوحدات اللغوية التي يتعارف الناس على تسميتها لغة (Language) أو لهجة(Dialect) أو سجلات السياق (Registers) فإن هناك نوعيات لغوية تختلط فيها وحدات لغوية من نوعيات مختلفة. وهي:

تحويل الشفرة (Code-Switching) وهي أن يستخدم المتحدث أكثر من نوعية لغوية في كلامه نتيجة لوجود العديد من سجلات السياق لديه. فقد يتحدث بفصحى وعامية، وقد يتحدث بعدة نوعيات في موقف واحد أو في مواقف متعددة. فقد يشرح المعلم لطلابه معنى كلمة أو مفهوم بعربية فصيحة ويستعين بكلمة دارجة أو عامية لتوضيحها أو للتعليق على شيء. ويبدو أن المتعلمين والمثقفين هم أكثر من غيرهم استخدامًا لتحويل الشفرة بين العاميات والفصحى واللغة الأجنبية التي يعرفونها. و الازدواج اللغوي يعد مثالاً على تحويل الشفرة في المجتمع العماني وغيره من المجتمعات العربية (هدسون،:١٩٨٠:٩٢). وقد يكون تحويل الشفرة على نحو أوسع بحيث يتكلم الشخص في موقف واحد عن موضوع واحد بكلمات وأساليب من لغة عامية مطعمه بكلمات فصيحة وقد يلجأ إلى استعمال كلمات أجنبية في الموقف نفسه لسبب ما.

ومنها الاستعارة (Borrowing) وهي أن النوعيات اللغوية المختلفة بأشكالها المتعددة تستعير من بعضها ألفاظًا وتراكيب لأسباب مختلفة، وهذا يؤدي إلى اختلاط النوعيات اللغوية فيصبح جزءً من هذه النوعية مكونًا من هذه الوحدات اللغوية المستعارة من نوعيات أخرى. وتكثر الاستعارة بين اللغات واللهجات المتجاورة أو المتقاربة. وأكثر ما تكون الاستعارة من المفردات الدالة على الأشياء والبضائع المتبادلة. وعرفت العربية بنوعياتها المختلفة هذه الظاهرة وتناولها علماء العربية الفصحى بدراسات تحت مصطلحي المعرب والدخيل (المعشني،٢٠٠٨ :١٩-٣٤).

والنوعية الثالثة هي الرطانة (Pidgin) وهي نوعية لغوية تنشأ في العادة من أجل التواصل في مجال العمل التجاري بين مجموعات من العمال والمهاجرين ليس لها لغة اتصال مشتركة. ومعظم مفرداتها تؤخذ من لغة سائدة في بلد ما. وتتسم الرطانة بالبساطة وسهولة الاكتساب. ويسهم في تكوينها الطرفان اللذان يتفاهمان بها. وليس لها متحدثون أصليون تكون لهم اللغة الأولى أو الأم (هدسون،١٩٨٠ :١٠٠). وتمثل الرطانة في سلطنة عمان لغة التواصل الأساسية التي يستخدمها العمال الأجانب القادمون من شبه القارة الهندية. و أكثر كلمات هذه (الرطانة) من العربية العامية السائدة في السلطنة.

ومن سمات هذه الرطانة: أنها تسقط كثيرًا من الأصوات العربية وتضع مكانها صوتًا آخر قريبًا منه؛ مثل العين في علي (ألي) والحاء في محمد (مهمد) والخاء في خربان (كربان) والثاء في ثلاثة (سلاسة) والذال في هذا(هازا) والضاد في ضوء (زو) والظاء في مظلوم (مزلوم) والقاف في قريب (كريب) والشين في إيش (إيس) وفي شاهي (ساهي) والغين في شغل(شجل) والواو في ولد (فلد) بفاء شبيه بحرف (v) في الإنجليزية. وتغير صيغ الفعل المعبرة عن الزمن، وتخلط بعضها ببعض، وتخلط بينها وبين الأسماء. فالفعل الماضي (جاء) يستخدم دائما على صيغة المضارع (يجي)، و(يجي) ترد في الغالب مسبوقة بكلمة (في) مثل(أنا في يجي) أنا جئت. وقد تستخدم صيغة الفعل الماضي (نامْ) على صيغة الاسم، فيقال: (هو في نومْ) أي هو نام أو قد نام . ولا تميز هذه الرطانة بين صيغة (نائم) وصيغة (نام) (نومْ) (هو في نوم) تأتي بمعنى نام ومعنى نائم .حيث يقال: (أنا حصلته في نوم) أنا وجدته نائمًا. ولا تفرق بين المذكر والمؤنث حيث يقال فيها: (هو واجد زين) وقد يكون الضمير عن مذكر أو مؤنث. فالضمائر الشخصية المنفصلة لا تراعى فيها؛ حيث يقال: هو (حرمة زين) و(هو رجال زين) بالضمير نفسه من غير تمييز. ومثل ذلك ضمير المخاطب والمخاطبة؛ فقد يقول بعضهم (أنتَ للمؤنث وللمذكر، وبعضهم أنتِ للاثنين معًا. وهناك غياب لضمائر النصب والجر المتصلة في هذه الرطانة؛ حيث يقال فيها (قلبْ مال أنا) والمقصود قلبي. و(فلوس مال نحن) والمقصود فلوسنا. و(ضرب أنا) والمقصود ضربني. وتعتمد هذه الرطانة على ضمير الإشارة

* أبوزيد، المرجع السابق،١٧٩

للمفرد المذكر القريب (هازا) على حساب غيره من ضمائر الإشارة. ومثل ذلك لا وجود لأسماء الصلة في هذه (الرطانة). وغالبًا ما يستعاض عنها «بفي» مع صيغة فعل تأتي بعدها ملازمًا لها. «هازا نفر أمس هو في يجي مكتب مال أنتا» والمعنى: هذا الرجل هو الذي جاء إلى مكتبك أمس. ولا وجود لمعظم أدوات الربط. وأداة النفي المعتمدة هي "مافي".وهذه الأداة العجيبة «في» تستخدم للتعبير عن الزمن القادم مثل السين وسوف. وقد أدى هذا إلى تشكيل الجمل في هذه الرطانة على نحو مخالف لكل النوعيات اللغوية العربية؛ لأن هذه الرطانة خليط لغوي، له خصائص لغوية جديرة بالدراسة والبحث في إطار اللسانيات الاجتماعية.

خاتمة

في ختام هذه الورقة يمكن وصف الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني بما يلي:

أولاً: ينظر المجتمع العماني للظاهرة اللغوية نظرة معيارية، وعلى أساس من ذلك يحكم بالصواب والخطأ والجمال والقبح على أنواع الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني. ولهذا فاللغة المعيارية (الفصحى) هي الأهم والأجمل والأفصح والأسمى. وهذه النظرة مرتبطة بعوامل ثقافية وحضارية، وهي موجودة في كل بلد عربي. وهذه النوعية اللغوية المتواضع عليها في المجتمع العماني(الفصحى) نوعية مكتسبة يتعلمها الجميع بعد دخولهم المدارس أو يكتسبها المرء بنفسه من المحيط الثقافي وبجهود ذاتية، ولا يتعلمها أحد بوصفها لغة أم أولى؛ لأن اللغات العامية هي التي تمثل ذلك، فهي التي تستخدم في كل بيت وأسرة مع الطفل قبل ذهابه إلى المدارس. فكل العمانيين يتعلمون نوعيات لغوية غير متواضع عليها في البيوت قبل الذهاب إلى المدارس.*

ثانيًا: تتنوع الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني تبعًا للتنوعات الجغرافية والاجتماعية. فهناك لهجات بدوية وأخرى ريفية أو جبلية وأخرى ساحلية. وفي مناطق من ظفار والوسطى توجد (المهرية) و(الحرسوسية) و(الشحرية). وهي لغات حكي وحديث يومي كحال اللغات العامية.

ثالثًا: تتنوع الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني بين نوعية متواضع عليها (عربية فصحى) نشأت في مكان من نجد والحجاز قبل الإسلام ثم انتشرت في سائر مناطق الجزيرة، ومنها عمان عن طريق الشعر والأسواق الأدبية، أو من خلال هجرات القبائل وتداخلها.وهناك نوعيات لغوية عربية يطلق عليها (لغات عامية) تستخدم في البيوت والأسواق وشؤون الحياة اليومية ولا يُكتب بها وليس لها قواعد مدونة، وفي كل منطقة وبلدة نوعية منها لها سماتها وخصائصها. وبين هذه النوعيات اللغوية في المجتمع العماني تقارب وتداخل؛ على الرغم مما بينها من اختلافات بسبب التداخل الاجتماعي والجغرافي والثقافي يجعلها متقاربة ،كما أن جذورها منغرسة في تربة واحدة، فهي بمثابة فروع لدوحة واحدة هي العربية الأولى أو القديمة.

رابعًا: هناك صعوبة حقيقية في تحديد كل نوعية لغوية من هذه النوعيات وتعيينها على نحو مستقل ومنفصل، بحيث يقال: هذه الوحدات اللغوية(الكلمات) والأساليب والخصائص تمثل هذه النوعية ومحصورة فيها. وجزء من هذه الصعوبة ناتج عن تقاربها وتداخلها وجزء مرتبط بطبيعة الظاهرة اللغوية نفسها.

خامسًا: لقد تأثرت الظاهرة اللغوية في المجتمع العماني بما حصل له من تغير وتطور شامل في عهد النهضة العمانية المعاصرة. ومن مظاهر تأثر الظاهرة اللغوية بما حصل من تنمية في السلطنة انتشار (الفصحى) في كل قرى عمان وبلداتها وبواديها وأريافها لأول مرة في تاريخها. وهذا يعني أن هذه النوعية اللغوية (الفصحى) تعززت وانتشرت خلال عهد النهضة على نحو غير مسبوق. ويستتبع هذا تركها تأثيرات مختلفة في النوعيات اللغوية (لغات عامية) التي تنتشر في المجتمعات اللغوية أو الكلامية في شتى ربوع السلطنة.

سادسًا: أدت النهضة المعاصرة في عمان إلى احتكاك النوعيات اللغوية (اللغات العامية) ببعضها في مواقع العمل والتعليم وأماكن الإقامة وبخاصة في العاصمة والمدن الكبيرة، وما نتج عن هذا الاحتكاك من ظهور أو بدايات لظهور نوعية (عامية) مركزها مسقط تعكس خصائص هذه النوعيات المتعايشة في بيئات العمل والتعليم والإقامة. ولا يخفى تأثر النوعيات اللغوية (العاميات) العمانية بنوعيات عربية ذائعة حملها الإعلام العربي المؤثر كاللغة العامية المصرية واللغة العامية الخليجية التي تبرزها وسائل الإعلام.**

سابعًا: ظهرت نوعية لغوية جديدة في المجتمع العماني وهي اللغة الهجين (الرطانة) التي غدت لغة التعامل التجاري وغير التجاري بين مئات الآلاف من العمال الآسيويين والمواطن العماني. ودخلت اللغات الأجنبية في معظم تخصصات التعليم العالي والتجارة والإدارات العليا، ولا يُنكر ما تركته من تأثيرات في كل النوعيات اللغوية العربية، وبخاصة تأثيراتها على المفردات وبعض الأساليب.

ثامنا: ليس للمجتمع العماني نوعية لغوية تمثل عمان ويتوحد العمانيون فيها وبها إلا النوعية المتواضع عليها (الفصحى)؛ فلكل منطقة ومدينة عمانية نوعية لغوية مميزة (لغة عامية). ومن يعتقد أن نوعية منطقته تمثل عمان فذلك غير صحيح .والاعتقاد بأن هذه النوعية اللغوية أو تلك هي الصحيحة وغيرها غير صحيح اعتقادٌ ليس خاطئًا علميًا أو عمليًا فحسب، وإنما فيه إقصاء للنوعيات اللغوية الأخرى ،واحتكار لتمثيل الهوية الوطنية

* اللغات العامية هي اللغات الأم في معظم مناطق عمان و المهرية والشحرية والحرسوسية والبطحرية هي اللغات الأم للمتحدثين بها في مناطق من ظفار والوسطى. ولكن الفصحى هي لغة الكتابة والعبادة والعلم والهوية المشتركة.

** لا يخفي بعض المثقفين العمانيين تذمرهم من تأثير اللغات العامية الخليجية في اللهجات العمانية، وقد سمعت ذلك أكثر من مرة من بعضهم .

العمانية في بعدها اللغوي .

تاسعًا: ليس في المجتمع العماني نوعيات لغوية غير النوعيات الموجودة في المجتمع العربي المجاور(عربية فصحى، عربيات عامية، عربيات جنوبية)* وهذه النوعيات اللغوية متقاربة في السمات والخصائص الأساسية، وهي فروع لأصل واحد أو أخوات لأم واحدة، تأثرت ببعضها وأثرت في بعضها.**

عاشرًا: كل نوعية لغوية (عربية فصحى، عربيات عامية، عربيات جنوبية) جديرة بالدراسة من قبل الباحثين العمانيين لمعرفة سماتها وخصائصها وأوجه التقارب والتشابه والتطابق والاختلاف بينها، وما تنفرد به كل نوعية من سمات وظواهر، وعلاقة ذلك بالمجتمع والثقافة وبالظاهرة اللغوية في عمومها. ومن الملاحظ أن هناك نقصًا كبيرًا في دراسة الظاهرة اللغوية بكل نوعياتها في المجتمع العماني وفق المناهج والنظريات اللسانيات الحديثة. ومن غير الموضوعية التعامل معها وكأنّها نوعيات لغوية مستقلة تمامًا عن بعضها وبعيدة عن بعضها بعدًا، مما يسوغ لغير المتخصصين والعارفين بها النظر إليها بالمنظار الذي ينظرون به إلى اللغات القادمة للسلطنة من بيئة شرق أفريقيا أو شبه القارة الهندية، ووضعها في تصنيف واحد.

المراجع العربية

أبو زيد، محمود، ٢٠٠٧، اللغة في الثقافة والمجتمع، دار غريب للطباعة والنشر،القاهرة.

الرحالي، محمد، ٢٠٠٧، لغة، وضع اللغة والأدب العربيين في الجامعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

الرحالي، محمد، ٢٠٠٩، اللغة والتنمية والسياسة اللغوية بالمغرب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بصمات٠٤، الصفحات٣٦-٤٣

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،١٩٨٨، جامع البيان في تأويل القرآن،بيروت.

الفاسي الفهري، عبدالقادر، ٢٠٠٧، اللغة والبيئة، أسئلة متراكمة، منشورات زاوية، أكدال، الرباط

المسدي، عبد السلام، ٢٠١٠، مباحث تأسيسية في اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت.

المعشني، محمد، ٢٠٠٣، لسان ظفار الحميري، مركز الدراسات العمانية،جامعة السلطان قابوس.

المعشني، محمد،٢٠٠٤، الازدواج اللغوي في اللغة العربية ، وآثاره، مجلة كلية دار العلوم، العدد ٣٢، إصدار خاص.

المعشني، محمد، ٢٠٠٨، الاقتراض اللغوي في الشعر العماني، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، العدد ٢٧.

الموسى، نهاد، ٢٠٠٥، اللغة العربية في مرآة الآخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان.

تشومسكي، نعوم، ١٩٨٦، اللغة والمسئولية، ترجمة: د.حسام البهنساوي، ٢٠٠٥، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة

تشومسكي، نعوم٢٠٠٠، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة:عدنان حسن، ٢٠٠٩، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية.

رابيين، شييم، ١٩٣٧، اللهجات العربية الغربية القديمة، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، ١٩٨٦، جامعة الكويت.

سافيدان ،باتريك، ٢٠٠٩، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة: المصطفى حسوني، ٢٠١١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء

علي، جواد، ١٩٩٣، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. المجلد الثامن، بيروت.

غاليم، محمد، ٢٠٠٧، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

هدسون،د ،١٩٨٠، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، ٢٠٠٢، عالم الكتب، القاهرة.

وليمز، ريموند، ١٩٧٩، الكلمات المفاتيح، ترجمة نعيمان عثمان، ٢٠٠٧، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء.

ياكوبسون، رومان، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم ود.حسن ناظم، ٢٠٠٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

يونس ، محمد علي، ٢٠٠٤،مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت.

* المهرية مركزها اليمن وهناك الهبيوتية في منطقة الحدود بين السلطنة واليمن ،وهناك السقطرية في جزيرة سقطرى .وفي فيفياء بجنوب السعودية الفيفية، وهي لسان عربي جنوبي عند قبائل من خولان الحميرية هناك. ولدي بحث عنها لم أنشره بعد.

** ليس من الموضوعية التركيز على ما بينها من اختلافات طبيعية، استجابة لدعوات آتية من الخارج، أو لتعصبٍ ضيق ممن يعتقد أنها تمثلهم أو تمثل قيمة حضارية فريدة مستقلة تخصهم يجب حمايتها والدفاع عنها أمام سلطان الفصحى الجائر كما يُزعم. ومن يفعل هذا، لا يمكن له أن يدرس هذه النوعيات بموضوعية علمية؛ لأنه يدخل(الايدولوجيا) الاجتماعية والسياسة في حساباته، وسيقوده هذا إلى نتائج ومشاريع غير لغوية وغير علمية. وقد يتسبب في مشكلات لمجتمعه لم تظهر فيه من قبل. فهذه النوعيات اللغوية يجمع بينها قدرٌ كبيرٌ من التجانس، أفضى بها إلى التعايش معًا دون تصادم أو تنافر منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم؛ فليس بينها اختلافات جذرية. إنما هي أوعية ثقافية واجتماعية تمثل التنوع الاجتماعي والثقافي والحضاري للإنسان العربي في عمان.